

﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾^(١) مَا يَأْتِيهِمْ
مِّن ذِكْرِ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ [الأنبياء: 1 - 2]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

لَمَّا قَالَ ﷺ في آخر طه: ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ
مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾^(١٣٥) [طه: 135] متوَعِّدًا
الْمُنْكَرِينَ، وَأَمْرًا أَنْ يَنْتَظِرُوا مَجِيءَ الْوَعْدِ الْحَقِّ لِاقْتِرَابِهِ؛ نَاسِبٌ
أَنْ يَذْكَرَ فِي مَطْلَعِ السُّورَةِ الْآلِاقَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى اقْتِرَابِهِ، فَقَالَ
تَعَالَى: ﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾، وَهَذَا
مِنْ تَعَانُقِ الْأَطْرَافِ بَيْنَ آخِرِ السَّابِقِ وَمَطْلَعِ الْآلِاقِ، وَهَذَا مِنْ
صُورِ التَّرَابُطِ بَيْنَ الْأَطْرَافِ، فَالْقِرَاءُ الْكَرِيمُ كَالْعِقْدِ الْمُنْظُومَةِ
دُرَّرُهُ فِي سِلْكٍ وَاحِدٍ.

تَعَانُقُ أَطْرَافِ
السُّورِ مَظْهَرٌ مِنْ
مَظَاهِرِ الْإِتْسَاقِ
الْكَلْبِيِّ

كَمَا أَنَّهُ لَمَّا قَالَ فِي خَتَامِ طه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ
تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾^(١٣٣) [طه: 133]؛ نَبَّهَ فِي مَطْلَعِ هَذِهِ كَذَلِكَ
أَنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ مِمَّا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِّن رَّبِّهِمْ، فَقَالَ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ
ذِكْرِ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾، فَدَلَّتِ الْآيَتَانِ عَلَى
إِبَائِهِمُ الْاسْتِمَاعَ وَالْإِذْعَانَ لآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿حِسَابُهُمْ﴾: (حَسَبَ) أَصْلٌ يَدُورُ حَوْلَ جَمْعٍ مَا هُوَ مُتَفَرِّقٌ
فِي حَيْزٍ وَاحِدٍ، وَحَسَبَ يَحْسُبُ حِسَابًا وَحُسْبَانًا، وَمِنْهُ الْحُسْبَانَةُ:
الْوَسَادَةُ؛ لِأَنَّ حَشْوَهَا لَيْفٌ، قَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا⁽¹⁾، وَالْحِسَابُ الْأُخْرَوِيُّ:
إِحْصَاءُ الْأَعْمَالِ وَالْمَجَازَةُ عَلَيْهَا، وَقِيلَ فِي تَعْرِيفِهِ: هُوَ تَوْقِيفُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حسب).

اللَّهُ النَّاسَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، خَيْرًا كَانَتْ أَوْ شَرًّا، قَوْلًا كَانَتْ أَوْ فِعْلًا، تَفْصِيلًا بَعْدَ اخْتِزَامِهِمْ كُتِبَتْهُمْ⁽¹⁾، ومعنى «أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ» أي: دنا وقتُ المحاسبة.

(2) «غَفْلَةً»: (غفل) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تركِ الشَّيْءِ سهوًا، ورُبَّما كان عن عمدٍ، مِنْ ذَلِكَ: غَفَلْتُ عَنِ الشَّيْءِ غَفْلَةً وَغُفُولًا، وَذَلِكَ إِذَا تَرَكْتَهُ سَاهِيًا، وَلَمْ أَلْتَفِتْ أَوْ أَنْتَبِهْ إِلَيْهِ، وَأَغْفَلْتُهُ: إِذَا تَرَكْتُهُ عَلَى ذِكْرِ مِنْكَ لَهُ، وَأَرْضُ غُفْلٍ: لَا عِلْمَ بِهَا وَلَا أَثَرَ عِمَارَةٍ⁽²⁾، وَالْغَفْلَةُ: سَهْوٌ يَعْتَرِي الْإِنْسَانَ مِنَ قِلَّةِ التَّحْفِظِ وَالتَّيَقُّظِ، يُقَالُ: غَفَلَ فَهُوَ غَافِلٌ⁽³⁾، وَكُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ التَّرْكِيبِ هُوَ مِنَ الْغَفْلَةِ، بِمَعْنَى: عَدَمِ التَّنَبُّهِ وَمَا إِلَيْهِ⁽⁴⁾.

(3) «مُعَرِّضُونَ»: اسمُ فاعِلٍ مِنَ الإِعْرَاضِ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ مِنَ الْفِعْلِ الرَّبَاعِيِّ: أَعْرَضَ، يُعْرِضُ، إِعْرَاضًا، وَأَعْرَضَ: وَلَّى مُبْدِيًا عُرْضَهُ، وَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ وَعَنْ فُلَانٍ: كَأَنَّهُ انْحَرَفَ عَنْهُ، وَوَلَاهُ عُرْضَهُ: جَانِبَهُ أَوْ عَارِضَهُ، أَي: جَانِبَ وَجْهِهِ لَا مُقَدِّمَهُ⁽⁵⁾، وَإِعْرَاضُهُمْ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ: عَدَمُ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ، بِتَرْكِهِمْ فَهْمَهُ وَتَدَبُّرَهُ وَالْإِمْتِثَالَ بِمَا جَاءَ فِيهِ.

(4) «ذِكْرٍ»: مُصَدَّرٌ مِنَ الْفِعْلِ: ذَكَرَ يَذْكُرُ ذِكْرًا، وَضِدُّهُ النِّسْيَانُ، وَيُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا يَتَحَقَّقُ بِهِ مِنْ وَحْيٍ وَغَيْرِهِ، مِمَّا يَقَعُ بِهِ التَّذْكِيرُ، وَيَنْطَوِي فِي هَذَا الْمَعْنَى الشَّرْفُ، فَالْقُرْآنُ هُوَ الذِّكْرُ، «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩٠﴾» [الحج: 9]، وَالْمَعْنَى الْمُرَادُ فِي الْآيَةِ: هُوَ الْوَحْيُ، أَي: الْقُرْآنُ.

(5) «مُحَدِّثٍ»: صِفَةٌ عَلَى وَزْنِ (مَفْعِلٍ)، وَهُوَ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنَ الْمَاضِي (أَحْدَثَ)، وَالْمُجَرَّدُ مِنْهُ (حَدَّثَ)، وَحَدَّثَ الشَّيْءُ يَحْدُثُ حَدُوثًا وَحِدَاثَةً، وَالْحَدُوثُ وَالْحَدِيثُ: نَقِيضُ الْقَدِيمِ، وَالْمُحَدَّثُ: مَا أُوجِدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَذَلِكَ إِمَّا فِي ذَاتِهِ، أَوْ إِحْدَاثُهُ عِنْدَ مَنْ حَصَلَ عِنْدَهُ، نَحْوُ: أَحْدَثْتُ مُلْكًا، قَالَ تَعَالَى: «مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ»، وَيُقَالُ لِكُلِّ مَا قَرُبَ عَهْدُهُ: مُّحْدَثٌ، فِعْلًا كَانَ أَوْ مَقَالًا، قَالَ تَعَالَى: «حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾» [الكهف: 70]⁽⁶⁾.

(1) الباجوري، تحفة الريد على جوهرة التوحيد: 2/ 149.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (غفل).

(3) الرَّاغِب، المفردات: (غفل).

(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (غفل).

(5) الرَّاغِب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عرض).

(6) الرَّاغِب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسَّمين الحلي، عمدة الحفاظ: (حدث).

(6) ﴿يَلْعَبُونَ﴾: (لعب) أَصْلُ يَدُلُّ عَلَى فِعْلٍ مَا لَا نَفْعَ فِيهِ، وَلَا فَائِدَةَ مِنْهُ، وَهُوَ مِنَ الْهَزْلِ، وَضِدُّهُ الْجِدُّ، وَمِنْهُ الْمَبَاحُ، وَمِنْهُ الْمُحَرَّمُ الْمَذْمُومُ، وَلَعِبَ فُلَانٌ يَلْعَبُ لَعِبًا: إِذَا كَانَ فِعْلُهُ غَيْرَ قَاصِدٍ بِهِ مَقْصِدًا صَحِيحًا⁽¹⁾، وَمَعْنَى ﴿إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: بَيَانٌ لِّكَوْنِ حَالِهِمْ هَذَا لَا يَتَبَدَّلُ، فَهَمَّ يَوَاصِلُونَ اللَّعِبَ وَالْهَزْلَ، دُونَ تَأَثُّرٍ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

تُبَيِّنُ الْآيَاتَانِ اقْتِرَابَ وَقْتِ مُحَاسِبَةِ النَّاسِ جَمِيعًا، بَيْنَمَا أَكْثَرُهُمْ فِي ذَهُولٍ وَتَغَافُلٍ، مَنْصَرِفُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَعَنِ الْجِدِّ إِلَى الْهَزْلِ، لَا يَتَأَهَّبُونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مُقْبِلُونَ مِنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ، وَحَالُهُمْ مَعَ الْوَحْيِ، أَنَّهُ مَهْمَا يَصِلُهُمْ مِنْ مَوَاعِظَ، وَتَطْرِقُهُمْ مِنْ زَوَاجِرَ، وَتَقْرَعُهُمْ مِنْ نُذُرٍ وَأَيَّاتٍ، تَنْزِلُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، مِنْ قَبْلِ مَلِكِهِمْ، وَخَالِقِهِمْ، وَرَازِقِهِمْ، وَمُدَبِّرِ أُمُورِهِمْ وَهَادِيهِمْ، فِيهَا الْحُجَّةُ وَالْبَيَانُ، وَالْعِظَةُ وَالْإِعْتِبَارُ، وَتَصْرِيفُ الْقَوْلِ، وَتَفْنِئُ الْعِبَارَاتِ، إِلَّا اسْتَمَعُوا إِلَيْهَا سَمَاعًا سَاهٍ، دُونَ أَنْ يَبْرَحُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ لَعِبٍ وَاسْتِغْلَالٍ بِالْبَاطِلِ.

❁ الْإِبْيَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بَدِيعُ بَرَاةِ الاسْتِهْلَالِ:

بَدَأَتِ السُّورَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾، وَهِيَ بَدَايَةُ تَقَرُّعِ الْأَسْمَاعِ، وَتَهْزُؤِ الْقُلُوبِ، وَافْتِتَاحِ الْكَلَامِ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ أَسْلُوبٌ بَدِيعٌ فِي الْإِفْتِتَاحِ، لِمَا فِيهِ مِنْ غَرَابَةِ الْأَسْلُوبِ، وَإِدْخَالِ الرُّوعِ عَلَى الْمُنْذَرِينَ⁽²⁾، وَهُوَ ابْتِدَاءٌ لَمْ تَعْهَدْ الْعَرَبُ مِثْلَهُ؛ لِإِفْتِقَادِهَا إِلَى مَعَانِيهِ، وَافْتِقَارِهَا إِلَى حُسْنِ نَظْمِهِ وَرَصْفِهِ، وَيُضَافُ

خطورة الغفلة
وآثارها المدمرة

افتتاح بديع،
واستهلال
فريد، انسق مع
ختم السورة

(1) الرَّاغِبُ، الْفَرْدَاتُ، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عَمْدَةُ الْحِفَاطِ: (لَعِبَ).

(2) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 8 / 17.

لجمال هذا الاستهلال وجلاله تناسقه مع ختامها، فكان تقريراً وتفصيلاً بعد إجمال، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 97).

دلالة التعبير بالاقتراب:

اختار النظم الكريم مفردة (الاقتراب) في قوله تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، وفعل ﴿أَقْتَرَبَ﴾ على وزن (افتعل)، والمجرد منه قرب، أي: دنا، والزيادة في المبنى تدلُّ غالباً على الزيادة في المعنى، فالفعل بهذه الصيغة أقوى في الدلالة على معناه من المجرد الثلاثي، قال المبرِّد: "هما واحد، إلا أنَّ افتعل مؤكَّد"⁽¹⁾، والاقتراب مُبالغة في القرب، فصيغة الافتعال الموضوعة للمطابقة مستعملة في تحقق الفعل، أي: اشتدَّ قرب وقوعه بهم"⁽²⁾؛ "لأنَّه لا أُمَّة بعد هذه يُنتظر أمرها"⁽³⁾.

بلاغة إسناد الاقتراب إلى الحساب:

أسند الاقتراب إلى الحساب في قوله تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، ولم يسند إلى الساعة، فلم يقل: (اقتربت الساعة) كما في سورة القمر؛ لمناسبة السياق المتحدِّث عن حال النَّاس الذين وقعوا في الغفلة، وجنحوا للإعراض، وآثروا اللَّعب والتَّلهي، دون اكتراب بهذا الأمر الجليل الذي يترقَّبهم ويقترب منهم لحظةً بلحظة؛ قال الألوسي: "وايثار بيان اقتراب الحساب على بيان اقتراب سائر وقوع مُستتبعات البعث، كفنون العذاب، وشجون العقاب؛ للإشعار بأنَّ مُجرَّد اقتراب الحساب - الذي هو من مبادي العذاب ومُقدِّماته -

الاقتراب إعداد
عن وشيك وقوع
الحساب

تصوير اقتراب
الحساب
باقتراب خطر
داهم وخطر
جائم

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 7/15.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/17.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 379/12.

كافٍ في التحذير عما هم عليه من الإنكار، ووافٍ بالردع عما هم عليه من العلو والاستكبار، فكيف الحال في نفس العذاب والنكال⁽¹⁾ كما أن فعل «أَقْتَرَبَ» يجوز إسنادُه للناس؛ فيقال: (اقترب الناس من حسابهم)، ولا شك أن المقام مقام تخويف وتهويل، فالخطر هو الذي يداهم الناس ويباغتهم، بينما هم في غفلتهم سادرون، وعلى لعبهم ولهوهم لا يبرحون، وعن إعراضهم لا يتزحزون، وكأنه عدو زاحف أو إعصار هائج يقترب من ديار قوم شيئاً فشيئاً، حتى يداهمهم وهم غافلون لاهون.

نوع اللام ودلالاتها في «لِلنَّاسِ»:

اللام في قوله تعالى: «أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ» لا تخلو من أن تكون صلة لفعل «أَقْتَرَبَ»، أو تأكيداً لإضافة الحساب إليهم، كقولك: "أزِفَ للحَيِّ رحيلهم"⁽²⁾، أو أن تكون بمعنى (من)، أي: اقترب من الناس «حِسَابُهُمْ»⁽³⁾.

معنى (أل) في لفظِ «لِلنَّاسِ»:

التعريف في لفظِ «لِلنَّاسِ» في قوله تعالى: «أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ» للجنس، فيشمل جميع الناس، المؤمن والكافر، البر والفاجر، فالحساب يقترب من الجميع، ثم فرع عنهم الكفرة والعصاة، وهم الأغلب، ولأغلب حكم العموم، وما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن المراد بالناس المشركون؛⁽⁴⁾ فهو محمول على دلالة السياق، فهو من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم، وهو ما يتلوه من صفات المشركين من وصفهم بالغفلة مع الإعراض⁽⁵⁾،

تتعدد المعاني
مع حروف
المعاني

الغفلة داء
يصيب جميع
الناس ويتمكن
من الكفار

(1) الألويسي، روح المعاني: 5/9.

(2) الزمخشري، الكشاف: 100/3، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/17.

(3) التعلبي، الكشف والبيان: 95/18.

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 267/11.

(5) الزمخشري، الكشاف: 101/3، والألويسي، روح المعاني: 4/9، وابن عاشور، التحرير والتنوير:

وَالْأَوَجَّهُ أَنْ تَبْقَى عَلَى الْعَمُومِ؛ إِذِ الْإِقْتِرَابُ يَعُمُّ وَلَا يَخْصُّ، وَأَمَّا وَصْفُ النَّاسِ بِالْغَفْلَةِ فَهُوَ يَعُمُّ الْجَمِيعَ، إِذْ لَا يَخْلُقُ قَلْبٌ بَشَرٌ مِنْ شَرِّ الْغَفْلَةِ، كَبُرَتْ أَوْ صَغُرَتْ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ دَخُولًا أَوَّلِيًّا.

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ شِبْهِ الْجُمْلَةِ عَلَى الْفَاعِلِ:

وعيدُ الغافلِ
المُعْرِضِ، وتنبيةُ
الغافلِ النَّاسِي

قَدْ جَاءَ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ عَلَى الْفَاعِلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾؛ لِلْإِعْتِنَاءِ بِالْمُقَدَّمِ، وَالتَّشْوِيقِ لِلْمُؤَخَّرِ، وَهُوَ هَذَا الشَّيْءُ الْخَطِيرُ الَّذِي اقْتَرَبَ، وَفِيهِ مِبَالِغَةٌ فِي الْوَعِيدِ لِأُولَئِكَ الْغَافِلِينَ الْمُعْرِضِينَ، وَالتَّنْبِيهِ لِلْغَافِلِينَ النَّاسِينَ؛ فَقَدَّمَهُمْ إِمْعَانًا فِي الْوَعِيدِ وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّنْبِيهِ، وَلِلْمَسَارَعَةِ إِلَى إِدْخَالِ الرُّوعَةِ؛ فَإِنَّ نِسْبَةَ الْإِقْتِرَابِ إِلَيْهِمْ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ، مِمَّا يَسُوؤُهُمْ وَيُورِثُهُمْ رَهْبَةً وَانْزِعَاجًا مِنَ الْمُقْتَرَبِ⁽¹⁾.

نُكْتَةُ الْمَجَازِ لِلرُّسُلِ فِي لَفْظِ (الْحِسَابِ):

الحسابُ ركنُ
القيامةِ، وعمودُ
الفاضلةِ

ذُكِرَ الْحِسَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، وَالْمُرَادُ الْحِسَابُ وَالْقِيَامَةُ عَمُومًا، مِنْ بَابِ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ، وَعِلَاقَتُهُ الْجُزْئِيَّةُ، وَذَلِكَ بِتَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِجُزْءٍ مِنْهُ؛ لِفَتْأَ لِأَهَمِّيَّةِ هَذَا الْجُزْءِ، وَكَأَنَّهُ يَقُومُ مَقَامَ الْكُلِّ، فَإِذَا تَذَكَّرْنَا السَّاعَةَ بِأَهْوَالِهَا الْعِظَامِ، وَأَحْدَاثِهَا الْجِسَامِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا يَخْطُرُ بِيَانَنَا مَوْقِفُ الْحِسَابِ.

بَلَاغَةُ الْاسْتِعَارَةِ التَّمثِيلِيَّةِ:

تشخيصُ
الحسابِ يزيدهُ
من هوله
ويعظمُ شأنه

"فِي إِسْنَادِ الْإِقْتِرَابِ إِلَى الْحِسَابِ اسْتِعَارَةٌ تَمثِيلِيَّةٌ، شَبَّهَ حَالَ إِظْلَالِ الْحِسَابِ لَهُمْ بِحَالَةِ شَخْصٍ يَسْعَى لِيُقَرَّبَ مِنْ دِيَارِ نَاسٍ، فَفِيهِ تَشْبِيهُ هَيْئَةِ الْحِسَابِ الْمَعْقُولَةِ بِهَيْئَةِ مُحْسُوسَةٍ، وَهِيَ هَيْئَةُ الْمَغِيرِ وَالْمُعْجَلِ فِي الْإِغَارَةِ عَلَى الْقَوْمِ، فَهُوَ يُلْحِقُ فِي السَّيْرِ تَكَلُّفًا لِلْقُرْبِ مِنْ دِيَارِهِمْ، غَافِلُونَ عَنْ تَطَلُّبِ الْحِسَابِ إِيَّاهُمْ، كَمَا يَكُونُ قَوْمٌ غَارِبِينَ مُعْرِضِينَ عَنِ اقْتِرَابِ الْعَدُوِّ مِنْهُمْ، فَالْكَلَامُ تَمَثِيلٌ"⁽²⁾.

(1) أَبُو السَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 53 / 6.

(2) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 8 / 17.

بلادةُ النَّظْمِ في إضافةِ الحسابِ إلى الضَّميرِ:

أُضيفَ لفظُ الحسابِ إلى الضَّميرِ في قوله تعالى: ﴿حِسَابُهُمْ﴾؛ إمعاناً في تخويفهم، فالسِّيَاقُ سياقُ ترهيبٍ، وفيه لَفْظٌ وتنبيةٌ إلى عملهم الذي سيُحاسِبون عليه، "وأصلُ النَّظْمِ: (اقتربَ للنَّاسِ الحِسَابُ)، وإنَّما نُظِمَ التَّركيبُ على هذا النَّظْمِ بأنْ قُدِّمَ ما يدلُّ على المُضافِ إليه وعُرِّفَ النَّاسُ تعريفَ الجنسِ؛ ليحصلَ ضربُ مِنَ الإبهامِ، ثُمَّ يَقَعُ بعدهُ التَّبَيُّنُ، ولما في تقديمِ الجارِّ والمجرورِ مِنَ الاهتمامِ، بأنَّ الاقترابَ لِلنَّاسِ لِيَعْلَمَ السَّامِعُ أنَّ المُرَادَ تهديدُ المُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ يُكِنُّ عَنْهُمْ بِالنَّاسِ كَثِيرٌ في القرآنِ، وعند التَّقْدِيمِ احتيجَ إلى تقديرٍ مُضافٍ، فصارَ مثلاً: (اقتربَ حِسَابُ لِلنَّاسِ)، وحُذِفَ المُضافُ لدلالةِ مُفسِّره عليه، ولما كان الحِسَابُ حِسَابَ النَّاسِ المذكورين، جيءَ بِضميرِ النَّاسِ ليعودَ إلى لفظِ النَّاسِ، فيحصلَ تأكيدٌ آخرٌ، وهذا نمطٌ بديعٌ من نسجِ الكلامِ⁽¹⁾.

إبهامٌ يَقَعُ معه
وعيدٌ وبيانٌ يَقَعُ
معه تأكيدٌ

معنى الواو وموقع الجملة بعدها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ حاليةٌ، والجملةُ بعدها حالٌ، وهذه الواو عند سيبويه بمعنى (إذ)، كأنَّه قيل: إذ هم في غفلةٍ معرضون⁽²⁾.

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بحرفِ الظَّرْفِيَّةِ:

دلَّ حرفُ ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾، على انغماس النَّاسِ في بحرِ الغفلةِ، وغرقهم في لُججِها، والتباسهم بها، كالتباسِ المظروفِ في الظَّرْفِ، وتمكُّنُها منهم تمكُّنَ الظَّرْفِ مِنَ المظروفِ؛ فهي ظَرْفِيَّةٌ مجازيَّةٌ، وهي تدلُّ على "شِدَّةِ تمكُّنِ الوصفِ مِنْهُمْ، أي: وَهُمْ غافِلُونَ أَشَدَّ الغفلةِ، حتَّى كأنَّهم مُنْغَمِسُونَ فيها، أو

الْمُغْرَضُ
مُنْغَمَسٌ فِي
الْغَفْلَةِ، سَادَرَ
فِي الْغَيِّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 9 / 17.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 267 / 11.

مظرووفون في مُحيطِها، ذلِكَ أنَّ غفلتَهُم عن يومِ الحِسابِ مُتَأَصِّلَةٌ فيهِم؛ بِسببِ سابِقِ كُفْرِهِم، والمعنى: أَنَّهُم غافِلون عَنِ الحِسابِ وعن اقْتِرَائِهِ⁽¹⁾.

غَرَضُ التَّنْكِيرِ:

التَّنْكِيرُ لِلتَّعْظِيمِ
والتَّهْوِيلِ
والتَّعْميمِ

نُكِّرَتْ مفردةٌ ﴿غَفْلَةً﴾ للتَّعْظِيمِ والتَّهْوِيلِ؛ فهي غفلةٌ عظيمةٌ هائلةٌ، ومن ثَمَّ فعاقبتُها وخيمةٌ، كما أفاد التَّنْكِيرُ التَّعْميمَ؛ فالغفلةُ عامَّةٌ تأتي في جميعِ الأمور.

غرضُ تقديمِ شبهِ الجملةِ:

الغفلةُ سببُ
الإعراضِ، وأصلُ
الاعتراضِ

قُدِّمَتْ لفظةُ ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ على لفظِ ﴿مُعْرِضُونَ﴾؛ لأنَّ الغفلةَ حالةٌ لازمةٌ لهم، فلا يتبصَّرون في حالهم ومصيرهم ولا يتفكَّرون، فيذكِّرهم ذلك بمصيرهم وعاقبةِ المُحْسِنِ والمُسيءِ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ تعالى بعثَ إليهم ما يوقظُهم من غفلتِهِم، لكنَّهُم أَعْرَضُوا؛ فأخبرَ عنهم أَوَّلًا أَنَّهُم لا يتفكَّرون في عاقبةِ، بل هُم غافِلون عما يؤوُلُ إليه أمرُهُم، ثُمَّ أخبرَ عنهم ثانيًا أَنَّهُم إذا نُبِّهوا مِن سِنَةِ الغفلةِ، وَذُكِّروا بما يؤوُلُ إليه أمرُ المُحْسِنِ والمُسيءِ؛ أَعْرَضُوا عنه ولم يُبالوا بِذلِكَ⁽²⁾.

دلالةُ التَّعبيرِ بمفردةِ الإعراضِ:

الإعراضُ دَيْدُنُ
الغافِلينَ،
ومَسَلُّكَ الأُدْهينَ

دلَّ اسمُ الفاعلِ ﴿مُعْرِضُونَ﴾ على لزومِ هذه الحالةِ لهم وتلبُّسهم بها، وأثرُ النَّظْمِ التَّعبيرِ بـ ﴿فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ دونَ أن يُقالَ: (في غفلة وإعراض)؛ لأنَّ الإعراضَ دَيْدُنُهُم، تعمِّدوه وآثروه، "على معنى: أَنَّهُم غافِلون عن حسابهم ساهون، لا يتفكَّرون في عاقبتِهِم، ولا يتفطنون لما ترجعُ إليه خاتمةُ أمرِهِم، مع اقتضاء عقولِهِم أَنَّهُ لا بدَّ من جزاءٍ لِلْمُحْسِنِ والمُسيءِ، وإذا قُرِعَتْ لهم العصا وَنُبِّهوا عن سِنَةِ الغفلةِ، وقُطِّنوا لذلك بما يُتلى عليهم من الآياتِ والنُّذُرِ؛

(1) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْويِر: 10 / 17.

(2) الزَّمَخْشَرِيُّ، الكَشَّاف: 101 / 3، وأبو حَيَّان، البحرُ الحِيط: 407 / 7.

أعرضوا وسَدُّوا أَسْمَاعَهُمْ ونَفَرُوا⁽¹⁾، كما أَنَّ في حرف الظَّرْفِ دلالةً على التَّمَكُّن، وإيرادُ الثاني وصفًا منتقلًا دالٌّ على نوع تجددٍ⁽²⁾.

دلالة التعبير بالاسمية:

دلَّتِ اسميَّةُ الجملةِ ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ على التَّوكِيدِ والثَّبَاتِ، فالغفلةُ والإعراضُ صفتان ثابتتان للنَّاسِ على تفاوتِ درجاتِهِمْ في ذلك، وهذا ما يُؤكِّدُ الوعيدَ للكافرين، والتَّنبِيهَ للمؤمنين، أي: فليَحْذَرِ المشركون من غفلتِهِمْ وإعراضِهِمْ، وليَتَنَبَّهَ المؤمنون لما قد يُصِيبُهُمْ من ذلك.

بلغة الاستئناف البياني:

جاء قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾ مفصلاً عما قَبْلَهُ؛ لأنَّها استئنافُ بيانيٌّ، فهي لبيان ما قَبْلَها، من باب التَّفْصِيلِ بعد الإجمال، وتقريرِ بشاعةِ الغفلةِ وشناعةِ الإعراضِ ببيانٍ ما يدلُّ عليهما؛ لذا حَسُنَ الفصلُ لما بين الجملتين من شبه كمالِ الاتِّصال، فكأنَّ سائلاً قد سأل: لماذا لا يَسْتَجِيبُونَ ويؤمنون؟ فبيَّنتِ الجملةُ حالَهُمْ مع القرآن.

نوع ﴿مَا﴾ ودلائلها:

﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾ نافيةٌ؛ وهي دالَّةٌ على العمومِ بترشيحِ ﴿مِّنْ﴾.

تعيين مرجع الضمير:

يعود الضَّمِيرُ في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ﴾ على النَّاسِ؛ باعتبار أنَّ الغفلةَ والإعراضَ حالٌ أَغْلِبَهُمْ، ولأغلبِ حُكْمِ العمومِ، أو على المشركين، على قول مَنْ يرى أَنَّ المرادَ بالنَّاسِ المشركون، من إطلاقِ العامِّ وإرادةِ الخاصِّ، والقولُ الأوَّلُ هو الأوَّلَى؛ لأنَّه معهودُ القرآن

ثبات وعيد
الكافرين،
وتنبية المؤمنين

بيان الحال يدفع
السؤال ويُزيل
الاستفصال

يدخل المشركون
دخولاً أولياً
بمضمون
الخطاب

(1) الرَّمْخَشَرِيُّ، الكَشَافُ: 3/ 101.

(2) الألوسِيّ، روح المعاني: 9/ 8.

مِنْ ذِكْرِ الْعَامِّ وَالتَّفْرِيعِ عَلَيْهِ؛ اعْتِمَادًا عَلَى فِطْنَةِ الْمُخَاطَبِ وَفَهْمِهِ
لِأَسَالِيبِ الْعَرَبِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ، فَيُرَادُ بِالنَّاسِ الْجَمِيعُ؛
الْمُشْرِكُونَ وَعِبَادًا وَتَحْذِيرًا، وَالْمُؤْمِنُونَ تَنْبِيهًا وَتَحْذِيرًا.

نوع ﴿مِنْ﴾ ودلالاتها:

استوى عند
المعرض كل أنواع
الذكر وأصنافه

دلَّ حرفُ ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ﴾
على تقوية العمومِ المُستفادِ مِنَ النِّكْرَةِ في سياقِ النَّفْيِ، والمرادُ:
أَيُّ ذِكْرٍ، وقد آثرَ الآلُوسِيُّ تسميتها: بِسَيْفِ خُطِيبٍ⁽¹⁾؛ تحاشيًا عن
تسميتها بِالزَّائِدَةِ، إِذِ الْخُطِيبُ لَا حَاجَةَ لَهُ بِالسَّيْفِ، وَإِنَّمَا يَأْتِي بِهِ
لِلتَّوَكُّيدِ عَلَى أَقْوَالِهِ، فَغَرَضُهَا هُنَا تَأْكِيدُ الْاسْتِغْرَاقِ الْمُسْتَفَادِ مِنْ
وُقُوعِ النِّكْرَةِ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ.

بلاغة اختيار مفردة الذكر:

فن الطباق بين
لفظي الذكر
والغفلة

لَمَّا أَخْبَرَ ﷺ عَنْ غَفْلَةِ النَّاسِ وَإِعْرَاضِهِمْ؛ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ مَوْقِفَهُمْ
مِنَ الْوَحْيِ الَّذِي هُوَ تَذْكِيرٌ لَهُمْ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَزَجَرَ لِقُلُوبِهِمْ مِنْ
الْإِعْرَاضِ، فَظَهَرَ التَّنَاسُبُ فِي ذِكْرِ لَفْظِ (الذكر)، الَّذِي هُوَ إِنْقَازُ
مِنَ الْغَفْلَةِ، وَتَنْبِيهُ عَلَى الْإِعْرَاضِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ الطَّبَاقِ، طَبَاقُ
الْإِيجَابِ بَيْنَ لَفْظِي الْغَفْلَةِ وَالذِّكْرِ، وَكَذَلِكَ دَلَّتِ الْمَصْدَرِيَّةُ عَلَى تَأْكِيدِ
الْوَصْفِ، وَقَوَّتِهِ، فَهُوَ تَذْكِيرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

غرض تنكير ﴿ذِكْرٍ﴾:

نُكِّرَتْ لَفْظَةُ ﴿ذِكْرٍ﴾ لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ، فَالنِّكْرَةُ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ
تُقِيدُ الْعُمُومَ، وَأَمَعْنَ فِي الْعُمُومِ دُخُولُ ﴿مِنْ﴾؛ لِإِفَادَةِ مَعْنَى التَّعْظِيمِ
وَالْتَفْخِيمِ بِدَلَالَةِ السِّيَاقِ.

دلالة قوله تعالى: ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾:

حرفُ ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾؛ لَا بَتْدَاءَ الْغَايَةِ مَجَازًا،

(1) الآلُوسِيُّ، رُوحُ الْعَانِي: 8/9.

متعلقة بـ ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ أو بمحذوفٍ هو صفة لـ ﴿ذِكْرٍ﴾، فالقرآن نازلٌ من عند الله تعالى، وفي هذا الابتداء دلالةٌ على فضله وشرفه وكمالِ شناعته ما فعلوا به، والتعرض لعنوان الرّبوبيّة لتشديد التّشنيع⁽¹⁾.

فائدة إضافة الذكر إلى الضمير:

في إضافة الذكر لضمير الناس: ﴿رَبِّهِمْ﴾ ملاطفةٌ في العتاب، فكيف يُعرضون ويغفلون عن ذكر مَنْ خَلَقَهُم ورزقَهُم، وتعهّدَهُم بالحفظ والإرشاد، وهذا هو أسلوبُ القرآن في التّودّد إلى الخلق وملاطفَتِهِمْ، مع سوء صنيعِهِمْ، وقبيح أفعالِهِمْ؛ لعلَّهُم يرجعون إلى ربِّهِمْ، الذي يتعهّدُهُم بالمواظظ.

غرض الفصل بين الصّفة والموصوف:

قدّم الجار والمجرور ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ على صفة الذكر، وهي لفظُ ﴿تُحَدِّثُ﴾، فلم يُقل: (ما يأتيهم من ذكرٍ محدثٍ من ربِّهم)؛ للاعتناء بالمقدّم تشريفاً وتعظيماً للذكر، وبيان مصدره وأنّه ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾؛ فهو مُقدّمٌ على بيان صفته ﴿تُحَدِّثُ﴾؛ مراعاةً للأهم في التّقديم.

نكتة استعمال لفظ ﴿تُحَدِّثُ﴾:

اصطفى النّظم الكريم لفظَ ﴿تُحَدِّثُ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُّحَدِّثٍ﴾، وهو اسمٌ مفعولٍ من الفعل الرّباعيّ (أحدث)؛ ومجيئه على الاسمية يُفيد رسوخ معنى الحدوث وثباته، والحدوث بذاته متجدّد من قبيل معناه، فكلُّ مُحدّثٍ متجدّدٌ، فكان التعبير بالاسمية أرسخَ في بيان التّجدّد بالنّظر إلى المعنى، وفيه إشارةٌ إلى أنّ هذا الذّكر سيبقى جديداً نَصِراً، لا يَخْلُقُ على مدى السّنين والأيّام، والغرض من الصّفتين بيان كونه حُجّةً ظاهرةً، وآيةً باهرةً، فهو من عند ربِّهم، وأسلوبه بلغ الغاية في الرّوعة والتّفنّن.

إعراضهم عن
ذكر ربّهم من
كمال شناعته
فعلهم

مراعاة الأوّل
والتّنبية على
الأعلى

آيات القرآن
جديدة في
القلوب نصرة في
العقول

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 54/6.

غرض تنكير ﴿مُحَدَّثٍ﴾:

نُكِرَ لفظُ ﴿مُحَدَّثٍ﴾ للتَّعْظِيمِ والتَّعْظِيمِ، فقد جمع كتابُ اللَّهِ بينَ الجلالِ والرَّوْعَةِ في الأسلوبِ، وجمالِ العباراتِ، ومع كونه آياتٍ تتجدَّدُ، ومعانيَ تتدقَّقُ، إلَّا أنَّ أهلَ الكفرِ أَعْرَضُوا عنه!

بلاغة الكناية في قوله: ﴿مُحَدَّثٍ﴾:

التَّعبِيرُ بلفظِ ﴿مُحَدَّثٍ﴾ الدَّالُّ على نُزُولِهِ مُتَكَرِّرًا، "كِنَايَةٌ عن عدمِ انتِفَاعِهِم بِالذِّكْرِ كُلِّما جاءَهُم، بِحَيْثُ لا يَزَالُونَ بِحَاجَةٍ إلى إِعَادَةِ التَّذْكِيرِ وإِحْدَاثِهِ مع قُطْعِ مَعْذِرَتِهِمْ؛ لأنَّهُمْ لو كانوا سَمِعُوا ذِكْرًا واحِدًا فلم يَعْבוُّوا بِهِ، لا تَحَلَّوْا لأنفُسِهِمْ عُذْرًا كانوا سَاعَتِيذٍ في غَفْلَةٍ، فلمَّا تَكَرَّرَ حَدَثَانِ إِيْتَانِهِ تَبَيَّنَ لِكُلِّ مُنْصِفٍ أَنَّهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهُ صَدًّا"⁽¹⁾، فهم يَسْتَهْزِئُونَ به، وَيَسْتَسْخِرُونَ منه؛ لِتَنَاهِي غَفْلَتِهِمْ وفَرَطِ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ النَّظَرِ فِي الْأُمُورِ والتَّفَكُّرِ فِي الْعَوَاقِبِ⁽²⁾، ففيه إِقَامَةُ الْحُجَّةِ على الْخَلْقِ، بِتَجَدُّدِ الْإِنْذَارِ، وَتَكَرُّرِ التَّنْبِيهِ، وَرَحْمَةِ الْخَالِقِ بِالْخَلْقِ أَجْمَعِينَ.

نوع ﴿إِلَّا﴾ ومعناها:

﴿إِلَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ﴾ استثناءٌ مُفْرَغٌ يَفِيدُ الْحَصَرَ، فهذه حَالُهُمْ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ، "وَالْمَعْنَى: ما يَأْتِيهِمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، إلَّا حَالِ اسْتِمَاعِهِمْ إِيَّاهُ مُسْتَهْزِئِينَ بِهِ، حَالٌ كَوْنِ قُلُوبِهِمْ غَافِلَةً عَنْ مَعْنَاهُ؛ لِفَرَطِ إِعْرَاضِهِمْ عَنِ النَّظَرِ فِي الْأُمُورِ، وَعَنِ التَّفَكُّرِ فِي الْعَوَاقِبِ"⁽³⁾.

نُكْنَةُ التَّعبِيرِ بِالْمَاضِي ﴿أَسْتَمِعُوهُ﴾:

قوله تعالى: ﴿أَسْتَمِعُوهُ﴾ جملةٌ من فعلٍ وفاعلٍ ومفعولٍ، وهي في محلٍّ نَصْبٍ حَالٌ من مفعولٍ ﴿يَأْتِيهِمْ﴾، أو من فاعله⁽⁴⁾، وجاء التَّعبِيرُ

القرآن حُجَّةً
إليه القائمة
الدائمة على
العباد

المرآن حالة
مانعة من
الانتفاع

الاستماع سلوك
فكري ومنهج
تراكمي

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 11 / 17.

(2) البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 45 / 4.

(3) الجاوي، مراح لبيد: 44 / 2.

(4) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 537.

بصيغة الماضي؛ لبيان أنَّ استماعهم على هذه الهيئة والحال، هو ديدنهم الذي لا يُغادرونه، ولا يجاورون خلافه، فاستماعهم حالٌ ثابتةٌ، لا تبدل لها ولا تغيير.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالِاسْتِمَاعِ لَا السَّمْعِ:

دلَّ فعلٌ ﴿اسْتَمَعُوْهُ﴾ على حرصِ المعاندين على التقصّد عند استماع القرآن؛ لما بهرهم جلال القرآن من روعة أسلوب، أو لما لديهم من تهيوٍّ في طلب القرآن لمعاندته، لكنهم لم يتأثروا بمعانيه، ولم تتفتح قلوبهم لمقاصده، فلم يتغيّر حالهم، رغم قوارع نذره، وطوارق وعيده، وبوارق زواجه، ولوامع حُجَجِه، ومحاسن أسلوبيه، وبديع نظمِه، "ولم يقل: سمعوه؛ لأنَّ (استمع) أخصُّ؛ إذ الاستماع يقتضي القصد إلى السَّمْعِ، فإذا أعرضوا عنه بعد قصدِهم استماعه، فأحرى أن يُعرضوا عنه إذا سمعوه من غير قصدٍ إلى استماعه"⁽¹⁾، والاستماع: طلبُ السَّمْعِ، وقد كانوا يطلبون سماع القرآن للردِّ والتكذيب به، لا للتفهّم والإيمان به⁽²⁾.

نوع الواو ودلائلها في ﴿وَهُمْ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ واو الحال، والجملة بعدها حاليةٌ، والمعنى: استمعوه لآعين⁽³⁾؛ للدلالة على استخفافهم بكلام الله مع ما حمله من وعيدٍ وتهديدٍ.

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَلَى الْمُسْنَدِ الْفَعْلِيِّ:

قدّم المسندُ إليه ﴿وَهُمْ﴾ على المسندِ الفعليِّ ﴿يَلْعَبُونَ﴾؛ لتوكيد نسبة المسندِ إلى المسندِ إليه، وتقوية حُكمه، وفيه إمعانٌ في الإنكار عليهم؛ لموقفهم الذي يدلُّ على استخفافهم بالمواعظ والزّواجر، كما

لا يمكن
للمعاندين إلا أن
يتقصّد السَّمْعَ

استماعُ أهل
الكفر للقرآن
استماعٌ لعبٍ
واستخفافٍ

أشنعُ صُور
الإساءة
الإعراض عن
الخشوع
للمُحسن
سبحانه

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 158.

(2) السمعاني، تفسير السمعاني: 2/ 385.

(3) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 383.

تقولُ لشخصٍ يُسيء بعد إحسانك إليه: ألم أحسن إليك ثم أنت تفعل كذا وكذا؟! وفيه بيانٌ لحالهم الشنيعة بعد حالِ الله تعالى معهم في الإحسان والعناية.

دلالة التعبير بصيغة المضارع ﴿يَلْعَبُونَ﴾:

دلَّ الفعلُ المضارعُ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ على الاستمرار، فهم لا يكفون عن اللعب، ولا يتوقفون عن الاستخفاف بكلام الله، ومقابلة ما ذكره من أهوالٍ عظام، وخُطوبٍ جسام، وما نطق به من الجدِّ، بالهزل واللَّعب، دون اكتراثٍ بعظامِ النذر، وجليلِ الخطوب، "فما يزيدهم استماعُ الآي والسُّور وما فيها من فنونِ المواعظِ والبصائر، التي هي أحقُّ الحقِّ، وأجدُّ الجدِّ، إلَّا لعبًا وتلهيًا واستسخارًا"⁽¹⁾.

دلالة الجملة الاسميّة:

دلَّتِ الاسميّةُ في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ على التوكيد والثبات؛ فهذا شأنهم دائماً، عاكفون على اللعب، لا يكفون عنه.

بلغة توالي الأحوال:

في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ حالان مترادفان، أي: حالٌ بعد حال، كما نقول: جاء محمدٌ راكباً مسروراً، أو متداخلاً؛ فالأولى حالٌ من واو الجماعة في ﴿اسْتَمَعُوهُ﴾، أي: حالة كونهم يلعبون، والثانية حالٌ من الحال، أي: يلعبون حالة كونهم لاهية قلوبهم.

نكتة تقديم اللعب على اللهو:

قدّم النظمُ الكريمُ حالَ كونِ المستمعين لاعبين، على كون اللّاعبين لاهين، ولم يعكس، على نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمّد: 36]؛ تنبيهاً على أنّ اشتغالهم باللَّعب، الذي معناه السُّخريّة والإستهزاء، مُعلَّلٌ باللهو، الذي معناه الذُّهولُ

الغارق في
الشّهوات
تستعزّ نيرانُ
إعراضه عند
استماعِ النُّجياتِ

اللهو أشنع
أحوالِ اللعبِ

لهو القلوب
سبب لعب
الأبدانِ

(1) القاسمي، محاسن التّأويل: 174 / 7.

والغفلة، فإنَّهم أقدموا على اللَّعِبِ لِلْهُوِّهِمْ وَذُهِولِهِمْ عَنِ الْحَقِّ⁽¹⁾، فهو من ذَكَرَ السَّبَبِ بعد بيان النَّتِيجَةِ؛ جواباً عن سببِ لَعِبِهِمْ بعدَ استماعِ الذِّكْرِ، ولِلإِيْمَاءِ إِلَى أَنَّ اللَّعِبَ مَخْتَصٌّ بِالْأَبْدَانِ، لا سِيَّما بعد إضافة اللُّهُوِّ لِلْقُلُوبِ، واللَّعِبُ انشغالٌ بِالْبَاطِلِ، واللُّهُوُّ انشغالٌ عَنِ الْحَقِّ، وقد جمعوا بين الأمرين.

❖ الفُروْقُ الْمُجْمَعِيَّةُ:

الْغَفْلَةُ وَالسَّهْوُ وَالْغُرُورُ:

الْغَفْلَةُ مرضٌ عُضَالٌ، وهي مذمومةٌ في أغلب أحوالها، أمَّا السَّهْوُ فهو أمرٌ لحظيٌّ يعتري الإنسانَ ويزولُ غالباً، والغُرُورُ مرضٌ قلبيٌّ، حيثُ الرُّكُونُ إلى شيءٍ والاعتِرَارُ به، كمن يَغْتَرُّ بِالمالِ أو بالقُوَّةِ أو بالجاهِ أو بالعلمِ أو بالأمانِيّ.

ولم يَرِدْ في القرآن لفظُ السَّهْوِ، وإنَّما ورد لفظُ الغفلة، والسَّهْوُ ضربٌ من الذَّهولِ والغفلةِ والنَّسيانِ، كالسَّهْوِ فِي الصَّلَاةِ وغيرها، والغُرُورُ سببٌ من أسباب الغفلة والإعراض، وهو الاعتِرَارُ بالدُّنْيَا والاشتغالُ بمباهجها، قال تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [القمان: 33]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: 20].

الإِعْرَاضُ وَالصَّدُّ وَالتَّوَلَّى:

الإِعْرَاضُ: تركُ الْحَقِّ والنَّائِي عنه، أمَّا الصَّدُّ فهو صرفُ النَّاسِ عنه، وتضليلُهم مختارين كانوا أو مُجْبَرِينَ، والتَّوَلَّى: الانصرافُ عَنِ الشَّيْءِ إِعْرَاضاً عنه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيداً﴾ [النساء: 167]، وقال: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الأنبياء: 16].

الْغُرُورُ سَبَبٌ
الْغَفْلَةُ،
وَالْغَفْلَةُ
سَلُوكٌ يَقُودُ
إِلَى الإِعْرَاضِ،
وَالسَّهْوُ طَارِئٌ
يَزُولُ

الإِعْرَاضُ
عَزُوفُ الدَّاتِ،
وَالصَّدُّ مَنَعٌ
الْآخِرِينَ،
وَالتَّوَلَّى عَمُومٌ
الانصرافُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 120 / 22.

اللَّهُو واللَّعِبُ:

الإقبالُ على
الباطلِ لعبٍ،
والإعراضُ عنِ
الحقِّ لهوٌ

العلاقة بين اللهو واللعب عمومٌ وخصوصٌ مطلقٌ، فكلُّ لعبٍ لهوٌ، وليس كلُّ لهوٍ لعباً، "وفَرَّقُوا بينهما: بأنَّ اللَّعِبَ ما قُصِدَ به تعجيلُ الْمَسْرَةِ والاستِرواحُ بها، واللَّهُوُ كلُّ ما شَغَلَ من هَوًى وطَرَبٍ، وإن لم يُقَصِدْ به ذلك، كما نُقِلَ عن أهل اللُّغَةِ⁽¹⁾، فالإقبالُ على الباطِلِ لعبٌ، والإعراضُ عنِ الحَقِّ لهوٌ، فالدُّنيا لعبٌ؛ أي: إقبالٌ على الباطِلِ، ولهوٌ؛ أي: إعراضٌ عنِ الحَقِّ"⁽²⁾.

(1) الخفاجي، عناية القاضى وكفاية الرّاضى: 4 / 48.

(2) الفخر الرازى، مفاتيح الغيب: 75 / 25.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 33، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-75-4

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 33: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-75-4

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»